مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 8 العدد 2 / ديسمبر 2022
ص ص 55–65

الدراسات السردية في النقد الغربي والنزعة البينية
–دراسة تاريخية-

Narrative Studies in Western Criticism and Interdisciplinary
-A historical Studay-

حميدة سليوة
قسم اللغة والأدب العربي –المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف -ميلة - الجزائر
hamida.slioua@centre-univ-mila.dz

الاستلام: 2022/09/28 القبول: 2022/12/25 النشر: 2022/12/31

ملخص:

تأكد للدارسين أن جسور التحاور بين الآداب والفنون موصولة، جعلت التعاون بين مجالات المعرفة المختلفة أمرا لا مناص منه، بل إنه ضروري في الدراسات النقدية الحديثة، فقد أثبت التاريخ انفتاح نقاد السرد على المجالات المجاورة، وهذا مؤكد لتكامل المعارف الإنسانية، ومثبت أن النزوع إلى البينية وجد في التراث النقدي الغربي باكرا ومنذ عصر التنوير.

يتناول هذا المقال إرهاصات البينية مع فلاسفة الفن في عصر المنطق بالقرن السادس عشر، وكان لهؤلاء دور ريادي في تنشيط الحوار بين الأدباء النقاد والفنانين والفلاسفة في الصالونات الأدبية والثقافية، ويظهر التعاضد المعرفي بين النقد وما جاوره من مجالات الفكر والثقافة في مجال أخر هو المصنفات الجمالية، خاصة مع ليسينغ وهاريس وجون جاك روسو وديدرو، ويزداد الأمر ازدهارا بداية من القرن الثامن عشر مع رواج الدراسات الجمالية، وهو ما دفع الأدباء والمثقفين إلى تذوق الفنون، فترك هذا الأخير أثره الواضح على الدراسات النقدية في فرنسا وأوروبا عامة، تمظهر في النزوع إلى الفن والبينية بين المجالين، وازداد الميول إلى بينية النقد أكثر بداية من القرن العشرين، في ظل رواج بحوث السرديات، حيث برز نقاد أمثال غوستاف لانسون وفيليب هامون، ثم تضاعفت البينية مع نقاد الرواية الجديدة والنقد المضاد، وهذا ما يتابعه المقال متوسلا إجراءات المنهج التاريخي.

ويخلص إلى خاتمة بأهم النتائج حول إرهاصات البينية في الدراسات السردية الغربية، وتطورها تجاوبا مع التغيرات المذهبية والتاريخية، وأثر البينية في الجانب الأدبي السردي والنقدي.

الكلمات المفتاحية: البينية، النقد التكاملي، الدراسات السردية، الصالون الأدبي.

Abstract:

Researchers were assured that the bridges of dialogue between literature and the arts were connected, making cooperation between different areas of knowledge inevitable, and even necessary in modern critical studies. History has demonstrated the openness of narrative critics to neighboring fields. and this is confirmed for the integration of human knowledge, and proved that the tendency to L'interdisciplinary was found in the Western critical heritage early, and since the age of enlightenment. This article deals with the beginnings of L'interdisciplinary with the philosophers of art in the era of logic in the sixteenth century, and they had a leading role in activating the dialogue between literary critics, artists and

philosophers in literary and cultural salons. The cognitive synergy between criticism and its neighboring fields of thought and culture is also evident in aesthetic works, especially with Lessing, Harris, Jean-Jacques Rousseau and Diderot, and the phenomenon is flourishing more from the eighteenth century with the Vogue of Aesthetic Studies, which prompted writers and intellectuals to taste the arts, the latter left its clear impact on Critical Studies in France and Europe in general, manifested in the tendency the likes of Gustav Lanson and Philippe Hamon, and the interplay with the critics of the new novel and counter-criticism has multiplied, and this is what the article continues by pleading steps of the historical method.
He concludes with important findings on the beginnings of L'interdisciplinary in Western narrative studies and its development in response to doctrinal and historical changes, and the impact of intertextuality on the narrative and critical literary aspect.

Keywords: L'interdisciplinary, integrative criticism, narrative studies, literary salon.

1.مقدمة:

يجمع كثير من الباحثين على أن العلوم والمعارف الإنسانية لا محال متعاونة ومتكاملة بل متحاورة، وأن مجالات العبور بينها تُتجاوز لما فيه فائدة للمعرفة الإنسانية بشقيها العابر والعابر إليه، حتى تلاقت هذه المجالات في وظائف ومكونات جوهرية جمعتها على التكامل المعرفي الإنساني، والحوارية والتواصل كشرط لنماء المعرفة وفتح الحدود، بعيدا عن التعصب إلى التخصص الواحد، والدراسات الأدبية واحدة من هذه المجالات التي طالتها البينية، وإن جاءت متأخرة نوعا ما، إلا أن المتتبع للتاريخ الأدبي منذ بزوغ شمس النهضة؛ يلحظ الميل إلى هذا التكامل المنهجي بين التخصصات المتجاورة خاصة في مجالات الفنون والآداب والفلسفة.

يقارب هذا المقال الجذور التاريخية للنزعة البينية في الدراسات السردية الغربية، لهذا جاءت الإشكالية الرئيسة فيه كالآتي: ما هي الجذور التاريخية للنزعة البينية في الدراسات السردية الغربية؟ ما هي مبرراتها الفكرية والتاريخية والثقافية؟ ودواعيها الفنية والأدبية؟ ثم ما هي آثارها على الجانب الإبداعي والنقدي؟ لهذا فمن أهدافها البحث عن الأصل التاريخي للبينية بين التخصصات الأدبية والمجالات المجاورة لها، والبحث في الآثار الايجابية للعبور والتحاور المنهجي بين المعارف على مستوى الإبداع الأدبي والنقد الإبداعي، متخذة من المنهج التاريخي طريقة في تتبع الظواهر البينية في الدراسات النقدية والسردية، بربطها بالعصر والحقبة التي ولدت فيها، وعلاقة الظاهرة بالأحداث التاريخية المساعدة على إنتاج الأدب وتبلور النقد، وهذا من أجل التوصل إلى التفسير الأمثل.

2-البينية والنقد الأدبي:

تشكل البينية رهانا هاما من رهانات النقد المعاصر، فقد أيقن هذا الأخير على غرار جميع العلوم والمعارف، أن الانفتاح حل لابد منه من أجل الدقة والشمولية، ورغم ما يحوم حولها من أخذ ورد إلا أن آثارها ظهرت لكي:« نعيد الاعتبار لوحدة العلوم وتكاملها، وما كان ذلك إلا لأن الدراسات التفكيكية القائمة على عزل المعرفة عن نظامها الشمولي التي بدأت إرهاصاتها الأولى ابتداء من القرن السابع عشر» (حساني، 2019، صفحة 90)، وهكذا فان انفتاح التخصصات والمجالات المعرفية هو جزء من وحدة المعرفة الإنسانية، وتعاضدها ينتج معرفة أكبر وأشمل أدق، والمسألة قديمة

الجذور وليست وليدة الساعة، فالتحرر من الالتزام بالتخصص الواحد وثوابته عرف منذ عصور التنوير أو ما يسمى بعصر المنطق.

وربطت البينية بالاصطلاح الانجليزي L'interdisciplinary والفرنسي" L'interdisciplinarité"، وجمعت الكلمة في المعجم الأجنبي معاني التجاوز والتكامل والتعاون، أما المحاولات العربية فلم تحد عن هذا المعنى الذي جعلها:« الوقائع المرجعية والترابطات الداخلية المتشكلة داخل تخصص واحد أو حقل معرفي ما، وهذا ما يسمح بإقامة علاقة بين عناصر التخصص وبين تخصصات مختلفة ومتمايزة» (برقراق، 2021، صفحة 117)، فالبينية شقيقة الانفتاح وإزالة الحواجز، مما يسمح بالتلاقح المثمر، داخل المجال الواحد كالنقد على تعدد مناهجه ورؤاه، فيعين المنهج الآخر في إنتاج المعرفة الدقيقة والتفسير القوي بالحجج المتبادلة بين المناهج، ثم تتجاوز البينية المجال الواحد للتكامل مع مجالات عدة في تحاور معرفي يعين الدارس ويوسع أفقه ورؤيته للظاهرة المدروسة.

يلحظ المتتبع للحركية التاريخية لمناهج النقد الأدبي، انزياحها الدائم إلى الانفتاح، خاصة في ما يسمى بـ"ما بعد البنيوية"، حيث طرحت مسألة تعددية القراءة وانفتاح النص، ولما كانت ما بعد البنيوية والتفكيكية – خاصة- رائدتين في إدخال التكامل المنهجي في الفكر النقدي الحديث، بسبب الأفكار التشكيكية التي تطرحاتها، من توسيع الهوة بين الدوال والمدلولات ونسبية المناهج، فقد كانت وسطا منهجيا مناسبا لطرح فكرة تلاقح المناهج والرؤى، واستعانتها بالمجالات الأخرى في دراسة الإبداع الأدبي، فهدفها الأول-أي التفكيكية- هو:« تحرير النص من قيود القراءة المغلقة، فقد كان الهدف الأساسي لدريدا، هو تأسيس ممارسة فلسفية موضوعية أكثر منها ممارسة نقدية» (بوخالفة، 2014، صفحة 170)، وهكذا جاء التبرير الفلسفي والمنهجي للحاجة إلى البينية، مناسبا لطروحات مناهج النقد في ما بعد البنيوية، وتستمر مسيرة الانفتاح والاتجاه إلى البينية مع النقد الثقافي فهو:« تغير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة من دون التخلي عن منهج التحليل الأدبي والنقدي» (الغذامي، 2000، صفحة 48)، فهو كتحليل ينسج بين المناهج ويربط بين المجالات المحيطة بالنص، ويمثل جزء من السياق الثقافي والتاريخي لهذا فلابد أنه يتفاعل معهما.

توضح بعد هذا أن البينية ضرورة في الخطاب النقدي المعاصر المتحول من الأحادية إلى التعددية، المتوقفة مصداقيته على شخصية الناقد وحضور ثقافته، لهذا لا مفر من:« هذا التيار الجديد هو انفتاح الخطاب النقدي على الفنون الأخرى، كالصحافة والموسيقى، والسينما، والرسم، وما تحمله الرواية من تقنيات الدمج والكولاج، لكونها ملتقى النصوص» (القاضي, زبيدة، 2008، صفحة 69)، فالتوجه إلى البينية في الدراسات النقدية للأدب هو العبور إلى القراءة الحرة، والتأويل المنفتح على العوالم، الذي حول وظيفة النقد -مع البينية- من الحكم على النصوص وتفسيرها إلى البحث عن الجمال والتناسق فيها، البحث عن روابط الإبداع بالسياقات المتضافرة في إنتاجه.

3-الجذور التاريخية للبينية في الدراسات السردية الغربية:

3-1.عصر التنوير:

كان لنشأة فلسفة الجمال في عصر الأنوار دور كبير في التمهيد للبينية بين الأدب والمجالات المجاورة له خاصة الفن والفلسفة، حيث طرحت في هذا الوقت أفكار جديدة تتعلق بالكون والإنسان والمجتمع والذوق، وفرضت البرجوازية فلسفات جديدة وحاجات معاصرة، وتواصلت جهود الفلاسفة ونقاد الجمال في القرن الموالي الذي اتسم:« بنشاط فكري هائل من أجل وضع نظريات فلسفية، واقتصادية، واجتماعية، تهدف إلى إخضاع الحاضر لنقد مطلق، وإلى رسم دروب النظر في المستقبل[...]أما السبعينيات والثمانينيات فقد شهدت تبلور النتائج العملية، والثورية بالطبع لهذا العمل الضخم» (فولغين، 2006، صفحة 8)، وبفضل الثورة العلمية التي عرفها القرن السابع عشر وفلاسفته أصبح للفن فلسفة، ارتكزت على الوجود والأخلاق بادئ الأمر لكنها استقلت عن السلطة الدينية لاحقا، وبدأت تتساءل عن دور الفن في الحياة، وبهذا دفعوا بالفن-خاصة الأدب والرسم-إلى المساهمة في التعبير عن المثل وصياغة منظومة القيم في المجتمع.

أما إذا جئنا إلى فلاسفة التنوير وهم نقاده، فيجب أن نشير إلى ملاحظتين مهمتين، أولاها الفكر الموسوعي الذي عرف به نقاد ورجال الأدب في هذا القرن وما بعده، حيث تميزوا بالجمع بين عدة تخصصات؛ على رأسها الفلسفة والأدب والفن- خاصة الرسم والموسيقى- والنقد الفني إلى جانب ذلك، ولنا في ذلك العديد من الأمثلة الرائدة في النقد الأدبي والفني، منها: فولتير Voltaire، وهو واحد من أهم فلاسفة عصر الأنوار ومن الأسماء البارزة في محاربة الإقطاعية في القرن الثامن عشر، وقد ترك ميراثا أدبيا منوعا للغاية، حيث:« لا يسعنا في الحقيقة أن نكتب تاريخ المسرح، أو تاريخ الرواية، أو تاريخ الفلسفة دون أن نأتي على ذكر فولتير[.....] آثار فولتير الأدبية تكاد تكون برمتها مساهمة في النضال الاجتماعي»، (فولغين، 2006، الصفحات 24-25)، وهذا ما يؤكد تعاضد الفلسفة بالأدب والنقد الأدبي في كتاباته الأدبية، وانفتاح النقد الأدبي في كتابته على الفلسفة، وارتباط الأدب في نظره بالوظيفة الاجتماعية، وهذا دليل على موسوعية هذا الناقد الاجتماعي والأديب المتذوق والفيلسوف.

ولا يكتمل الحديث عن موسوعية نقاد عصر التنوير إذا لم يذكر مونتسكو Montesquieu، صاحب كتاب روح الشرائع والقاضي والناقد ورجل الأدب، وصاحب الرسائل الفارسية التي سيأتي المقال على ذكرها لاحقا، وديدروDenis Diderot، صاحب كتاب الموسوعة أو القاموس العقلاني للعلوم والفنون والمهن الصادر بين(1751 و1780) الفيلسوف المادي والموسوعي والناقد الفني والأدبي والموسيقي كذلك، حيث أنه كان شاهدا على عصره، ومشاركا في أغلب مناحي الثقافة والحياة، خاصة بصالوناته الفنية والأدبية التي جمعت الفنان والأديب بالفيلسوف في حوارات نقدية مختلفة الرؤى والمناهل، والأكيد جون جاك روسوRousseau، صاحب العقد الاجتماعي، الذي لم يلهه نشاطه السياسي ولا الاجتماعي ولا شغفه الموسيقي عن الأدب وقضاياه، فكانت

آرائه لابد منها في كل مقهى أدبي:« ولج عالم الأدب كممثل طبيعي لهذه الجماهير وكمدافع عن مصالحها. لكنه يرى آلام هذه الجماهير من رؤيته البرجوازية الصغيرة للعالم» (فولغين، 2006، صفحة 211)، ولأن الموسوعية أصيلة في شخصيات رجال الأدب في هذه الحقبة التاريخية، فقد أدت إلى تضافر الفلسفة والفن في الأحكام النقدية المتمظهرة في عدة مظاهر منها الرسائل.

الملاحظة الثانية بخصوص فلاسفة عصر التنوير الموسوعيين هي استخدامهم لشكل أدبي هو"الرسائل" في التعبير عن آرائهم النقدية وفلسفتهم الخاصة في الحياة والفن، وكان منها الفلسفية والأدبية، أشهرها رسائل فولتير، التي جاءت بعد نفيه إلى انجلترا، حيث استغل فرصة وجوده خارج فرنسا ليعيد حساباته ويراجع نظرته للوجود والمجتمع والفن، مقارنا بين الفكرين الفرنسي والانجليزي والمجتمع في كلا الدولتين، وأساليب التعبير الفنية في أدبهما، وهكذا كانت رسائل فولتير مزيجا متناسقا بين الأدب والفلسفة:« بات فولتير يرى في كتاباته الأدبية سلاحا من أسلحة الصراع في سبيل مستقبل البشرية الأفضل، والوصول إلى هذا المستقبل الأفضل مرهون في نظره بتقدم الأنوار، بانتصار العدالة المرهون بانتصار العقل والحقيقة» (فولغين، 2006، صفحة 26)، وهكذا جاءت الرسائل الفولترية حربا معلنة على الأباطيل والخرافات، انتقادا لكل ما يقف في طريق الحرية والحقيقة، وانتصارا لمذهبه الإنساني وفكره التنويري، زيادة على اهتمامه بالأعمال التاريخية التي لم يخل منها أي عمل أدبي له.

أما رسائل مونتسكيو الفارسية- ظهرت عام1721- فهي عمل سردي تخيلي عن شعب وهمي محروم من فضائل المدينة، وجاهل بكل ما له علاقة بالعدل والإنصاف، شعب تمزقه الأهواء والتناقضات رغم وجود الصالحين فيه:«اختلط فيها النقد الجارح والجريء لعادات العصر والكنيسة والحكم، بلوحات مستوحاة من الحياة في سرايا أصفهان بروايات عجيبة بنزعتها التثقيفية حينا وبطابعها العابث الهازل حينا آخر» (فولغين، 2006، صفحة 39)، ويبدو العمل الذي ظاهره إبداعي ذو هدف سياسي وفكري واجتماعي وفني، متأملا في أسباب عظمة بعض الشعوب، وانحطاط البعض الآخر، ومشكلة السلطة وعلاقتها بالمجتمع وغيرها من القضايا، وهذا ما نجده في أعمال ديدرو الأدبية كـ"رحلة توغنيل"، حيث ضمنها مجمل الأفكار الشيوعية التي بدأت تنتشر بين المفكرين آنذاك، دون أن يطال النسيان جون جاك روسو Jean Jacques Rousseau، والهاوي للموسيقى والموسيقي الملحن، من أعماله الأدبية إميل Emile وراوية Julie و La nouvelle Héloïse وكتابه الشهير Les confession .

عرفت الصالونات الأدبية أول مرة في فرنسا خلال القرن السابع عشر، واستمرت إلى القرن الذي يليه، فقد كانت واحدة من أهم مكونات المجتمع الثقافية آنذاك، وموضة رائجة ميزت عصر التنوير، جسدت روح عصرها الموسوعية بجمعها بين تخصصات عدة خاصة الأدب والفلسفة والفن، امتدت الصالونات الأدبية كثقافة لتشمل كامل أوروبا كصالون مارزين في لندن، ومنها كذلك صالون ليدي هولاند وصالون مدام نوردان فليلشت في

ستوكهولم في السويد وصالون الإخوة فري في إيطاليا، ونادي الانترسول الانجليزي، محكمة الذوقة ساكوLa cour de sceaux،صالون مدام لمبير Mme Lambert وصالون مدام دي دوفانMm Du Deffand: « في مجتمع الصالونات تقام تحليلات للنصوص الإبداعية بشكل جماعي واقتراح حلول من النقاد المختلفين» (Thérouin, 2016, p. 2)، مثل الصالون الأدبي زيادة على تقديمه للمواهب الأدبية ودعمها؛ من شعراء وقصاص وروائيين أمثال شانوبراين وبلزاك، ممرا لابد منه لكل موهبة في عالم الأدب والفن كما هو صالون الماركيزة رامبولي Rambouillet الذي ساهم في شهرة ورفع موهبة كورناي Corneille ومدام دو لافاييت Mme De La Fayette: « صالونها الأدبي أصبح ممرا إجباريا لكل من يرغب في الاعتراف في عالم الأدب فلا غنى عن حكمها ولا عن نصائحها» (Thérouin, 2016, p. 5)

فالصالون الأدبي بسبب تنوع مشارب رواده يساهم في تكامل دروب النقد المختلفة، ناهيك عن صالونات ديدرو التي كانت بالفعل مثالا عن النقد التكاملي للتحف الفنية والأعمال الأدبية.

يعود لديدرو Diderot الفضل في طرح الكثير من الإشكالات في مجال النقد الجمالي والجمال الفني عامة، وهي الموضوعات التي تركت بصمتها في تاريخ الأنواع الأدبية، ولم تكن صالوناته أدبية فقط ولا فنية وكفى، بل يخالطهما التفلسف والتدبر في حال الفنون والثقافة في فرنسا وما آلت إليه، وكانت تصدر (Les sallons) بانتظام ما بين 1795– 1783، وهي بمثابة تقارير عن تطور الثقافة والفنون في باريس، ونجد فيها على حد تعبير هامون Philipe Hamon: «نرى في صالونات ديدرو بوضوح خياله السردي، حين يعالج سيناريوهات حول تقديم اللوحة» (Hamon, 1991, p. 127)، أما المهم في الموضوع هو تأثيره في كتاب نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، الذين تلقوا نصوص **ديدرو** بالكثير من الاهتمام والتدقيق، مما أدى إلى تغير الذوق فالأدباء حتى هذا القرن لم يكونوا إلا متحدثين بلسان شعوبهم ومستمرين في تراث أجدادهم، لكن ازدهار الفلسفة والدراسات الجمالية أدى إلى انقسامهم بين متشبث بالتقاليد والقيم الموروثة، وآخر يراها قيم بالية، ويدعو إلى قيم أكثر عصرية وتجاوبا مع التاريخ.

وتميز النقد الفني للأثار الأدبية في الصالون الأدبي عموما بـ:«الطابع غير المتجانس للصالونات ودوائرها حيث كان روادها من عوالم مختلفة من الأدب والنقد والفن، ساهم هذا في تشكيل نقد ثري ومتكامل، ترك رصيدا مهما للمؤلفين كل حسب حساسيته وثقافته الخاصة، ينتشر بهذا الذوق الجديد في هذه الحقبة والنقد المتعدد الأوجه[...] غير النمطي المرتكز على الإبداع والأنواع الأدبية الجديدة» (Thérouin, 2016, p. 13)، وهكذا ساهمت الصالونات والمقاهي الأدبية بسبب احتفالها بالمتنوع والموسوعي من الأفكار والمنهجيات، في الدعوة إلى نقد تكاملي ومتلاقح مع مختلف المعارف أهمها الفلسفة والفن، كما ساهمت في الترويج للأنواع الأدبية الجديدة خاصة القصة والرواية التي كانت تعاني من التهميش بسبب سيطرة الأنواع القديمة وعلى رأسها الشعر.

سيطرت بمجيء القرن الثامن عشر الطبقة الوسطى على الاقتصاد والاجتماع والسياسة، فشجعت الفلاسفة والمثقفين على التعارف والتعاون، وازداد التبادل الفكري، وهذا أدى إلى ازدهار الدراسات الجمالية ونظريات الذوق، مثل كتاب الإنجليزي: «جونتان رتشارد Jonathan Richards " نظرية الرسم Theory of painting، وجيمس هاريس James Harris الرسم والشعر Painting and Poetry ، هذا الأخير الذي يجمع الفنون الثلاثة في شعرية مشتركة» (Niklaux, 1963, p. 234)، وكانت أولاها عام 1708 مع كتاب محاضرات في فن الرسم Cours de peinture، لصاحبه روجر دو بلي Roger de Piles الذي أقام موازنة بين الرسم وباقي الفنون ومنها الأدب، وكتاب خواطر نقدية عام1719 لدو بو Du Bos، وجيمس هاريس الذي قدم في كتابه "نظرية الرسم":« يعتزم إقامة تمييز واضح بين الفنون الخاضعة لقوانين التمثيل المتزامن كالرسم، والفنون الخاضعة للتمثيل المتعاقب كالشعر» ,2003, ,Décultot) (p. 198، وهذا يرسي طريقة تذوق جديدة لم تعرف في القرون الماضية بالجمع بين أكثر من مجال في خطاب نقدي واحد، وهذا ما فعله هاريس في كتابه" Treatise concerning Music-Peinting- poetry. بالجمع بين الرسم والأدب والموسيقى.

ويبرز من ألمانيا كتاب ليسينغ Lessing الشهير " Du Laocoon ' صدر الكتاب عام 1766، وهو من الكتب القليلة التي عنت بجمالية التذوق والحدود بين الفنون، بتأكيده على أن لكل فن طبيعته التي تجعله يتميز في أمور وموضوعات أكثر من أخرى، وبهذا يتميز عن غيره من الفنون وتفتح جسور الأخوة والتبادل بين الفنون، وكان أول كتاب نقدي يتحدث عن الحدود بين الرسم والشعر من خلال أول شكل سردي في التاريخ وهو الملحمة: « 1766، تاريخ ظهور دولاوكون بالنسبة إلى القرن الثامن عشر، حيث ركز ولأول مرة في كتاب نقدي على الاختلافات الزمنية والدلالية بين الشعر والرسم» (Décultot, ,2003, p. 197)، وجمع ليسينغ بين النقد والفلسفة والأدب، فكان ناقدا مزدوجا للفنين بتبيانه لطبيعة كل فن وصلته بما جاوره من الفنون، ومدافعا عن الأدب والملحمة وما خلفها من فنون سردية، وبهذا الكتاب تحقق له الأثر الفني الواضح في ألمانيا وخارجها خاصة في صالون مدام دوستايل De Staël الأدبي:« في نصوصه النقدية، يمنح المتفرج والقارئ معا بالفعل قوة إنتاجية» .Décultot, ,2003, p) (202، فتأثره بالموسوعيين خاصة فولتير أعطاه هذا الميول إلى عدم الأحادية في النقد، فلطالما ربط الأدب بالفن وبالحياة والطبيعة وساهم في إعطاء صورة عن الفنون في العصور القديمة، أثار الجدل بسبب دعوته لتجاوز الحدود بين أساليب التعبير في الفنون الحديثة.

2-3.العصر الحديث:

صاحب حركة التنوير تطور ملحوظ في الجانب الأدبي وتطور وسائل الطباعة، وتراجع الأجناس الأدبية الكلاسيكية (الأجناس القديمة) في مقابل الرواج الكبير للرواية والقصة، ويمكن أن نعتبر هذه الفترة مرحلة تمهيدية لاستقبال الرومنسية Romantisme الوافدة من ألمانيا، وتزامن مع التيار الرومنسي انتشار بعض الدراسات الجمالية، هذه الأخيرة بدأت تترك أثرها على المتلقي المبدع، كنصوص سانت بيف

"Les nouveau lundis "Saint Beave : «وجد هذا النقد في فترة كان جنس المناظر في شوق ليحل محله في الرسم وباقي الأجناس، حتى أن الكتابة بدأت تتحول إلى فنية عابرة للفنون» (Hamon, 1991, p. 135)، كان لانتعاش الفنون أثر كبير على الموضوعات النقدية التي تنفست نفسيا جديدا، كنصوص سانت بيف التي جمعت بين موضوعية النقد ومشهدية الرسم، فالنقد في هذه الفترة كان بينيا تبعا تفاعل الفنون مع بعضها البعض، ومتجاوبا مع الإبداع الذي اتخذ من الفنون موضوعا له كما هو عند بلزاك وغوتييه وهوغو.

كان الأسلوب الانطباعي ظاهرة فنية عامة في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، واندمج بالأدب فيها مع الفن التشكيلي، مع الأخوين كونكور Concourt، إدموند Edmand (1822 - 1896)، وجول Jules (1830 - 1870)، حيث ينسب إليهما الاتجاه الطبيعي في الأدب من أهم أعمالهما رواية Manette Saloman (1867)، وجورنال Journal، هذا الأخير وهو عمل نقدي أرخ للحياة الأدبية والاجتماعية في باريس بين عامي (1851- 1896)، وكان الأخوان يقدمان لرواياتهما بمقدمات يتعرضان فيها لقضايا أدبية وجمالية معاصرة، أما جونال وهو تاريخ للحياة الأدبية الباريسية في هذه الفترة التي زاد فيها تمازج الأدباء بالفنانين في جمعيات واحدة أماكن واحدة، ومدينة واحدة، أدباء نقاد كبودلير الذي لا يخفي إعجابه بدولاكروا وهوسمان Huysmansوزولا Zola، وكونكور في حد ذاتهم، وضمت أعدادها في مناسبات عديدة مراسلات مع فلوبير عن روايات خاصة، ويتحدث عن أدباء كثر كتوفيل غوتيه حول موضوع التصوير.

وكان دأب الأدباء ممارسة النقد الفني وزيارة مراسم الفنانين، أما الانطباعية فكانت آنذاك من قبيل الحداثة الفنية في الأدب كما في الفن التشكيلي، ومن باب الحداثة كذلك كان أسلوب أدبي يسمى écriture artistique، الذي ينسب للأخوين كونكور: ويتميز بالأحاسيس اللحظية والعابرة والتعبير عنها بأسلوب مرهف وملون ب«حيوية ملونة» (Vouilloux, 1997, p. 17)، تقدم أعمالهما النقدية والأدبية على حد سواء، إمكانيات أدبية وأسلوبية على المستوى المفرداتي والبنائي والموضوعاتي، تنم عن قدرة فذة على التفاعل مع فن الرسم، عبر المصطلحات والأساليب المتخصصة في الفن.

4.القرن العشرين:

جاء عقود القرن العشرين الأولى بتغيير شامل من الناحية الفلسفية والمنهجية، وقد استجاب النقد لهذه التغييرات المذهبية، فاهتم علماء السرديات بمكونات العمل الروائي والقصصي، خاصة مع التحولات الحاصلة في مجال الإبداع السردي من خلخلة للتقنيات التقليدية وانفتاح الخطاب السردي على مختلف الخطابات والمعارف، وهذا يتطلب قارئا مواكبا للجماليات الجديدة، وهذا ما سيقدمه الدارسون والنقاد، وعلى رأسهم غوستاف لانسون Lanson في كتابه فن النثر L'art de la prose الصادر عام 1908، وقدم فيه مقاربة تاريخية وتدقيقا فنيا في فنون السرد، متخذا من الجملة النثرية عنصرا نوويا في التحليل، بادئا بعصر النهضة مع رابييه Rablais، حيث وصف الجملة في أعماله بالأوركسترا، وبأنها مرئية متلألئة كالأصداف، وكلها انعكاسات لفن الباروك والترف الفني الذي عرفته فنون عصر النهضة وعلومها، يقول واصفا

سرديات عصر النهضة:« architecture littéraire حيث تعذب الكلمة في الرواية وتنفخ وتنتشر باروكيا» (Lanson، 1909، صفحة 25)، وهكذا كان يقارب بين النص السردي ومفاهيم المعارف والفنون المجاورة للأدب من رسم وعمارة ورياضيات وفلك، وصولا إلى بلزاك والقرن الثامن عشر حيث ازداد تقارب السرد بالرسم مع شانوبريان وزولا وغونييه وكونكور، حيث كان الروائي يزاوج إبداعه بمذهب الفنون المرئية، وصولا إلى أناتول فرانس ونهاية القرن التاسع عشر، رغم انتقاده لانزياح كتاب القصة والرواية إلى الفنون غير الأدبية بقوله: « علينا أن نكون شانوبرايان وفلوبير ليس أكثر، ليس علينا تعلم شيء في مدارس لنصبح رفاييل ودافنشي» (Lanson، 1909، صفحة 202)، وكان هذا الكتاب فتحا في مجال السرد الفني وانفتاحه على المجالات المعرفية المختلفة، حيث كان يعاين اقتراب أو بعد الكتاب والقصاصين عن الأخذ من الفنون والعلوم، فهو بهذا بيني في تفسيراته وأحكامه .

تجاوبت رواية القرن العشرين مع التطورات الحاصلة في الفكر الإنساني والفن بصفة عامة، لكنها عانت بعض التغييب سنوات الحربين الكونيتين، لانشغال رجال الأدب وعلماء السرد بشؤون الحرب، وبسبب رواج السريالية كتيار فني والمعروفة بموقفها المضاد من الرواية والفنون السردية عامة، حتى جاءت سنوات الخمسين وهبت معها رياح الرواية الجديدة، التي لم تلقى القبول في الساحة النقدية لرفضها للشكل الروائي التقليدي وبسبب تباين اتجاهاتها، لولا المعركة النقدية التي قادها نقاد الرواية الجديدة- وهم رواتها أنفسهم- ودعمها النقد الجديد والمسرح المضاد، وعلى رأس هؤلاء نتالي ساروت بكتابها "عصر الشك l'ère du soupçon الصادر عام 1956، الذي دافعت فيه عن النصوص الجديدة، وبينيتها بين السرد الخالص والنهل من المعارف والفنون الأخرى كالرسم والسينما وعلم النفس، وهذا ما يتطلب قراءة نقدية متعددة وبعيدة عن النمطية، مقتربة من البينية تقول عن حاجة الرواية للفن السابع: « السينما ذلك الفن الملئ بالوعود سوف تفيد الرواية من أساليبه الجديدة تلك الرواية التي كانت قد أوصلت المجهودات المجدية والعميقة» (ساروت، 2002، صفحة 14)، حيث يلمس من قولها دعوة للتحرر من قيود الجنس الروائي، والإفادة من فنون غير أدبية فهو بها "بيني"، إضافة أن الرواية الجديدة أصبحت تضاهي الفنون التشكيلية؛ في ضمائر الرواية الذاتية المفردة، والسينما بوجهات النظر الساردة والبنية المقطعة، الملاحظتان في روايات جويس وفرجينيا وولف ومارسيل بروست، وتلجئ الكاتبة الناقدة في مجمل الكتاب إلى تحليل اللاشعور للأعمال الفنية والسردية، حيث أن العنصر السيكولوجي يحتل مركز الثقل في النصوص الروائية الجديدة، في نزوح منها إلى مفاهيم علم النفس .

وتلحظ هذه الميول البينية في كتابات مجمل نقاد الرواية الجديدة ومنهم، ألان روب غرييه في كتابه"نحو رواية جديدة"، وميشال بوتور "بحوث في الرواية الجديدة"، جان ريكاردو " القضايا الجديدة في الرواية" وكلود سيمون في كتاب "درس الأشياء"، حيث جاءت هذه النصوص النقدية مدافعة عن كتاب الرواية الجديدة بكل بينيتها وانفتاحها وتعددها الرؤيوي،

فلم يعد المنهج الواحد ذو البعد المفاهيمي الواحد، كافيا ليجيب على إشكالات النص المتعدد الخطابات والمتعاليات، ولابد هنا من الإشادة بجهود بعض النقاد المعاصرين في هذا المجال وعلى رأسهم فيليب هامون خاصة كتابي مقدمة إلى تحليل الوصف introduction à l'analyse du descriptif عام 1981، وكتاب التصوير الأدبيla description littéraire عام 1991، وقدم فيه جهدا كبيرا في مقاربة تفاعل النصوص السردية مع الفنون المرئية من أقدم العصور وحتى الرواية الجديدة، وإلى جانب ذلك أهم النصوص النقدية المقاربة لظاهرة لجوء السرد إلى الفن من أقدم موسوعة منهجية سنة 1782 لصاحبها M.Beauzée إلى أواخر ثمانينيات القرن العشرين وكتاب كلود سيمون درس الأشياء، ونختم مداخلتنا بالإشادة بكتابي الصورة في الرواية The image in the Modern French Novel، والأسلوب في الرواية الفرنسية الجديدة Style in The French Novel لصاحبهما المجري ستيفن أولمان، لرؤيته الحداثية في مقاربة الرواية الحديثة والبحث عن مصادر الصور والأساليب فيها وربطها بالفنون المختلفة خاصة الرسم والنحت والعمارة من خلال أشهر أعلام الرواية الفرنسية في القرن العشرين: أندريه جيد وألان فورني ومارسيل بروست وألبير كاميه.

5- خاتمة: في ختام هذا المقال نتوصل إلى مجموعة نتائج هي:

-البينية في الدراسات الأدبية مرتبطة بالنص المنفتح، الذي يتطلب قراءة حرة من قيود المنهج الواحد، وفي المقابل دمج التيارات والمجالات المختلفة.

- قدمت ما بعد البنيوية بمناهجها المنفتحة على السياقات وبحثها عن ما وراء النص؛ المناخ الفكري الممهد للبينية في النقد الأدبي، وبهذا زادت مرونة النقد وذاتيته، فعدم التعصب إلى التخصص الواحد والمنهج الأوحد حول العملية النقدية إلى تجربة اكتشاف وإبداع غير متوقع.

-تمتد جذور البينية في الدراسات السردية إلى عصر التنوير ورجال الأدب فيه، بفكرهم الموسوعي، وهو ما انعكس على أحكامهم النقدية بخصوص الكتاب والقصاصين، والتي كانت مزيجا بين الأدب والنقد والفلسفة والفن، وهذا ما يظهر في أثرهم الأدبي-الفلسفي "الرسائل-

-ساهمت الصالونات الأدبية في عصر التنوير في نشر التفاعل المنهجي بين المجالات والتخصصات بين أدب وفن وفلسفة وصحافة، وتوسيع ثقافة الانفتاح على المجالات الأخرى والتفاعل بين النقاد والمبدعين.

-فتحت الدراسات الجمالية في عصر التنوير والعصر الحديث مجال التعاون بين مجالات الإبداع المختلفة، وكانت بينية النقد نابعة من بينية النصوص السردية المتداخلة مع أشكال الفن المجاورة خاصة الفنون التشكيلية في ظل الواقعية الانطباعية.

-ساهم اندماج الأدباء بالفن والصحافة في القرن التاسع عشر بتقريب النقد الأدبي بالفني خاصة ما كان يكتبه الأدباء من نقد في الجرائد والمجلات.

-أثرت التغيرات المذهبية والمنهجية على الكتابات السردية والدراسات حولها في القرن العشرين، حيث سلطت البنيوية على

مكونات النص السردي بكل مستوياته، وتمظهرت بينية الدراسة السردية مع جهود نقاد الرواية الجديدة، الذي دافعوا عن بينية النصوص السردية الجديدة، وتباينها وعدم تقيدها بالبناء الروائي التقليدي، لهذا كانت بينية النقد مرتبطة بانفتاح النصوص السردية على العلوم والفنون والمعارف.

6. قائمة المراجع:

1-Décultot, E. (2003). Le Laocoon de Gotthold Ephrain lessing, De l'imagination comme fondement d'une nouvelle méthode critique. revue Les études Philosophiques..

2-Gustave Lanson .(1909). L'art de la prose deuxième édition .(الإصدار Paris: Librairie des Annales politiques et littérature.

3-Hamon, P. (1991). La description littéraire, Anthologie des textes théoriques et critiques. Paris, France: Macula.

4-Niklaux, R. (1963). Diderot et la peinture –le critique d'art et le philosophe. Europe revue mensuelle.

5-Thérouin, A. D. (2016). Les salons littéraires de l'ancien régime: de espaces critiques atypiques. actes du colloques Réflécher les espaces critiques: consecration, lecture et politique du littérature. automne , N 24, Postures.

6-Vouilloux, B. (1997). L'art des Goncourt,une ésthétique du style. Paris-Montréal: L'harmattan.

7-أحمد حساني. (2019). المقاربة البينية وتعليمية المعارف الإنسانية-حقل تعليمية اللغات أنموذجا . المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، (الاول)، 90.

8- القاضي، زبيدة. (2008). النقد العربي المعاصر من النسقية إلى الإبداع. أعمال المؤتمر الدولي الحادي عشر"تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر 2006 جامعة اليرموك الاردن: عالم الكتاب الحديث عمان-جدارا للكتاب إربد، الأردن .

9-ريمة برقراق. (2021). رهان التخصصات البينية مقاربة مفاهيمية. مجلة الموروث ، 9 (العدد الأول(خاص)).

10-عبد الله الغّذامي. (2000). النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربية (الإصدار الطبعة الاولى). بيروت-الدار البيضاء، لبنان-المغرب: المركز الثقافي العربي.

11- ف فولغين. (2006). فلسفة الأنوار (الإصدار 1). (هنرييت عبودي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الطليعة للنشر والتوزيع.

12-فتحي بوخالفة. (2014). الخلفيات الفكرية والمعرفية لنظريات التفكيك، وأثرها في النقد الأدبي. حوليات الآداب واللغات ، المجلد 2.

13- نتالي ساروت. (2002). عصر الشك (الإصدار 1). (فتحي العشري، المترجمون) القاهرة، مصر: المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة.